ديزي الأمير

مسرحية اكسير الشباب

كانت الاضواء ترى من بعيد . الوان حمراء وخضراء وصفراء و ... و ... ثابتة ومتقطعة ، تعلن عنوان التمثيلية المزمع عرضها هذه الليلة .

وقفت امام باب المسرح سيارات فارهة ، وهرع منها السائقون يفتحون الابواب بانحناءات متباينةالخضوع لراكبيها ، وسيارات صغيرة من كل الاصناف التي تنتجها مصانع العالم بالاحجام المختلفة ، وينزل من السيارة عشرة اشخاص او ينزل راكب واحد فقط .

اصوات اقدام تسمع في الشارع الليلي يأتي اصحابها لمشاهدة مسرحية الموسم .

وامام الباب يقف متسولون من شتى الجنسيات والهيئات يمدون ايديهم يطلبون العون بكل اللغات واللهجات .

واختلطت الاشكال ، نساء عاريات الاذرع يغطيهن الفراء ، والبعض الاخر مبرقعات من اعلى الرأس الى اخمص القدمين ، واخريات هبيات منفوشات الشعر لا تكاد تميز ان كن نساء ام رجالا ، بعد ان توحد زي الخنافس بين الجنسين .

ورجال يرتدون كل ازياء العالم : من الشورت الى الدشداشة ، ومن القبعة العالية الى البيريه ، وصلعات رؤوس تلمع لا يغطيها شيء الا اذا كان الطربوش الاحمر القاني مائلا يغطي احدى الجهتين .

مقاعد محجوزة سلفا ، واخرى ظن اصحابها انها محجوزة لهم ، واخرى حجزت الان ، وقد يتغير رقم المقعد فيتقدم الى الصفوف الامامية ، وقد يتأخر حسب مزاج بائع التذاكر .

العاملة الواقفة امام مدخل قاعة المسرح تبيع الجمهور برنامج التمثيلية بفصولها واسماء ممثليها حسب ظهورهم على المسرح ، مع موجز لفكرة المسرحية واسم المؤلف والمخرج ومدير الاضاءة ومصمم الديكور ، ولم يذكر اسم الملقن .

كانت الضوضاء تملأ سماء القاعة وارضها قبل ان تبدأ الدقات التقليدية تعلن قرب افتتاح الستارة .

وتبادل الجمهور النظرات .. كانت الدقات طلقات رصاص من مسدسات وبنادق عرف بعض الحضور انواعها، وتساءل الاخرون عن نوعية الاداة ، ولكن الكل استغرب هذا الابتكار في الدقات فاداروا رؤوسهم يسألون من حولهم عن السبب ، فاسكت كل جاره وهو نفسه يتساءل .

اضواء القاعة تنطفيء الواحدة بعد الاخرى والستارة تبتعد بشقيها عن المسرح .

على المسرح قاعة مختبر مملوءة بانابيب تتصل ببعضها ويفصل بينها في اماكن مخبار صغير او كبير . يتنقل بين الجميع سائل بالوان براقة جذابة سريعة التغيير . حين انتقاله من مخبار الى انبوب والبخار المتصاعد يتغير لونه ، كذلك يتغير مصدر صعوده او مكان هبوطه .

يسلط الضوء على احد اركان المسرح ليرى المشاهدون رجلا فتيا جذابا يمثل الشباب بكل مظاهره المحببة ، يبتسم والسرور يطفح على وجهه ، وتبرز اسنانه البيضاء اللامعة المصفوفة . يرفع يدا فتندفع الابخرة الملونة وينزلها فتهبط .

ثم يسلط الضوء على ركن اخر من المسرح حيث تقف عجوز شمطاء ، بشرتها المتجعدة تبدو حتى من تحت شعرها الابيض الناشف . فمها المفتوح المهتز يبدو فارغا من الاسنان .

فجأة يسطع ضوء على ركن جديد من المسرح وفتاة

تقف على شرفة تتسلق اليها غصون اشجار ، يبدو عبد اسود يمتطي حصانا يرفع سيفا . يقفز من على ظهر الحصان الى الشجرة يتسلقها .

يقول احد المشاهدين : ـ هذا ولاشك عنترة بن شداد يريد لقاء عبلة .

فيجيبه جاره : ـ هذه جولييت تنتظر موعد حبيبها روميو .

يقول ثالث : ـ ولكن هذا ليس في برنامج التمثيلية.

ويسكت الثلاثة حين يشاهدون عنترة يرفع سيفه ويبتر به يد جولييت صارخا :

ـ سرقت قلبي ، وهذا عقاب السرقة !

يمد الطبيب الشاب مدير المختبر اصبعا نحو العجوز فتسقط ذراع جولييت والدماء تسيل منها .

يقول مشاهد : لماذا يحشرون هذه المشاهد ؟

فيرتسم نفس السؤال على وجوه كثيرة ولكنها لا تجيب .

يظهر قبر على المسرح ، ويقترب رجل وهو ينادي « .. ليلى .. ليلى » وينفتح القبر ، فتخرج فتاة مخنوقة بمنديل حريري تسحب بمنديلها الرجل وتدخله معها الى القبر .

يقول مشاهد : ـ هذا مجنون ليلى ! ما الذي جاء به الى ديدمونة المخنوقة ؟

يجيبه جاره : ـ اظنهم اخطأوا في طبع البرنامج .

الطبيب الشاب يضيف سائلا احمر على اخضر .

على المسرح يبدو رجل روماني الزيّ وهو يصرخ: « انطونيو .. انطونيو ! اين انت يا انطونيو ؟! »

يتساءل مشاهد : ـ انه هو انطونيو .. لم لا ينادي على كليوباترا ؟

تخرج فتاة بدوية فيصرخ فيها : ـ عزه ابتعدي يا عزه عني ، انت من دين غير ديني ، لا يمكن ان اتزوجك !

ويهجم حراس فراعنة حاملين حيات يلفونها على عنق الاثنين .

الشاب مدير المختبر يبدو الارتباك على وجهه وهو يحاول خلط سائل الانابيب فتتحول الانابيب الى حيّات تتلوى بين يديه وصوت فحيحها يملأ قاعة المسرح . يخرج الملقن رأسه هاتفا بكلام لا يسمعه الجمهور فتعلو الاصوات :

ـ ماذا يقول الملقن ؟ ما الذي يجري على المسرح ! هذه ليست المسرحية التي ننتظر ..

فينظر مدير المختبر الى الحضور يتوسل طالبا اليهم السكوت ويداه ترتجفان .

يصعد رجل الى المسرح يحمل الة تسجيل طالبا من المدير تسجيل صوت حركات عينيه فيرميه احد الحضور بسكين تخترق بطنه .

تنتقل بين الحضور موزعة البرامج راكبة دبابة تنطلق منها النيران . يهرب بعض الحضور الى الباب المغلق ويبقى البعض فزعا ، واخرون يسحبون انواعا من السلاح من جيوبهم يرمونها في الهواء فترتفع الرؤوس. تشاهد مصابيح القاعة تضاء حين تصلها الطلقات .

مدير المختبر الشاب ترتجف ركبتاه والسوائل الملونة تنسكب على المسرح وتسيل الى القاعة فتحرق ما تصل اليه ويهب الحضور من على مقاعدهم قافزين في الهواء .

يدخل بائع يحمل سلاحا ينادي على صحف للبيع فتبدو على المسرح باخرة مكتوب عليها : « محروقات » . يهجم عليها الحضور ولكنها تختفي فجأة كما بدت فجأة .

يصرخ الطبيب مدير المختبر : ـ سأعقد مؤتمرا صحفيا اشرح فيه كل شيء سأشرح كل شيء .الذنب ذنب الملقن . غيّر الحوار الذي تمرنا عليه شهورا ..

فيصرخ الملقن من قبوه : ـ الذنب ذنب مصمم الديكور الذي غيّر المشاهد .

يقف مصمم الديكور زاعقا : ـ مهندس الاضاءة سلط الاضواء على اناس وحجبها عن اخرين .

مهندس الاضاءة يقاطعه : ـ مصمم الازياء هو المجرم الاكبر . ألبس الناس ثيابا ليست لهم .

مصمم الازياء يشدّ شعره بكلتا يديه متوسلا للجمهور ان يصغي اليه ، فيهجم الجمهور ناتفا ما تبقى من شعره

سيل الممثلين يركضون على المسرح عراة الا من لحى وشعر كثيف والاسلحة تعانق اكتافهم .

يصرخ صوت : ـ لتعقد هدنة نتحاور فيها لنتفاهم عما يحدث هنا . الحوار هو اساس اللقاء .

تطفأ كل انوار المسرح ويلمع في الجو اصوات المتفجرات والصواريخ وصوت اطفال ينادي : « هاتوا المخرج . اين هو المخرج ؟ »

صوت دقات المسرح التقليدية تعلو وتعلو وتسقط الستارة . يرفع الحضور شموعهم وقناديلهم النفطية ، وذات البطاريات يسلطونها على المسرح .

مدير المختبر يقف امام الستارة المسدلة يبكي بصوت متحشرج . دموعه تنسكب على وجهه المملوء تجاعيد وتسيل على لحيته البيضاء .

يحرك شفتيه محاولا الكلام فيخرج اللعاب من فم لا اسنان فيه وتصطك مفاصل المدير الشيخ العجوز .

بيروت